خطاب العقل في القرآن.. وعنصر العمل والحركة

<"xml encoding="UTF-8?>

إن قيمة وفاعلية الصيغة الفعلية في خطاب العقل في القرآن الكريم تكمن في الأبعاد التالية:

أولاً: إن القرآن الكريم هو كتاب عمل وسلوك، وليس كتاباً للرأي والنظر، ومنطقه هو منطق العمل وليس منطق الرأي، ويدعو دوماً إلى العمل، وتشمل دعوته الأفراد والجماعات والمجتمعات وحتى الأمم، ولسان حاله﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ... ﴾ 1

ولسان حاله أيضاً﴿ ... أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ... ﴾ 2

ومن هذه الجهة، فإن القرآن الكريم جاء متسقاً مع منطقه وحكمته وخطابه، حينما استعمل العقل بصيغة الفعل لأنه كتاب عمل ويدعو إلى العمل، وصيغة الفعل تدل على العمل خبراً وإنشاءً.

ثانياً: إن صيغة الفعل في الخطاب القرآني، تدل على الحركة التي تقابل السكون، بمعنى أن العقل ينبغي أن يكون في حالة حركة وحركة دائمة، وليس في حالة سكون.

ويتصل بهذا المعنى ما ذهب إليه الدكتور زكي نجيب محمود الذي حدد معنى العقل في كتابه (تجديد الفكر العربي) من خلال مفهوم الحركة، وحسب قوله: فأما التحديد الذي أريد أن أحدد به معنى العقل، فهو الحركة التي انتقل بها من شاهد إلى مشهود عليه، ومن دليل إلى مدلول عليه، من مقدمة إلى نتيجة تترتب عليها، من وسيلة إلى غاية تؤدي إليها تلك الوسيلة، وأهم كلمة في هذا التحديد هي كلمة حركة، فإذا لم يكن انتقال من خطوة إلى خطوة تتبعها فلا عقل.

ثالثاً: إن أخلص ما خلص إليه الدكتور عبدالله العروي في كتابه (مفهوم العقل)، الذي بذل فيه جهداً بحثياً ونظرياً واضحاً، هو: الإقرار أن العقل عقلان: أحدهما يهم الفكر وحده، مهما كانت المادة المعقولة، هدفه النظر في شروط التماسك والاتساق، والثاني يهم السلوك أو الفكرة المجسدة في فعل، هدفه النظر في ظروف مطابقة الوسائل للأهداف المرسومة، أيا كانت. الأول عقل المطلق، عقل الكائنات المجردة، عقل الحدود والأسماء، عقل النطق والكون، والثاني عقل الواقعات، أفعال البشر المتجددة.

ويرى الدكتور العروي أن عقل الفعل يتأصل في نقض عقل الاسم، ولا يكون الإصلاح إصلاحاً إنشائياً إلا في إطار الأول وخارج إطار الثاني، ولا يكون العقل عقلانية ولا يجسد في السلوك، إلا إذا انطلقنا من الفعل.

وكان بإمكان الدكتور العروي أن يتوصل إلى هذا المعنى المدهش بالنسبة إليه، من خلال الخطاب القرآني الذي صور العقل في إطار الفعل، وليس في إطار الاسم، وكان ناظراً إلى العقل في صورته الفعلية، وليس في صورته الاسمية3.

---

1. القران الكريم: سورة التوبة (9)، الآية: 105، الصفحة: 203.
2. القران الكريم: سورة آل عمران (3)، الآية: 195، الصفحة: 76.
3. الموقع الرسمي للأستاذ زكي الميلاد و نقلا عن صحيفة عكاظ ـ الأربعاء/ 24 أغسطس 2011م، العدد 16433.